الباب الثالث

الكعبة المشرفة من عهد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة

الباب الثالث
الكعبة المشرفة
من عهد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام
إلى يوم القيامة

الكعبة المشرفة هى أول بناء فى الأرض أقيم بأمر من الله سبحانه وتعالى وهو يقابل البيت المعمور فى السماء، وجعل سبحانه وتعالى أفئدة من الناس تهوى إليها وجعل بيته آمناً للطائفين والقائمين والركع السجود.

هذا المبنى الذى أتم بناؤه سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل مكعب الشكل ذو أضلاع هى غير متساوية فالضلع الذى جهة حجر إسماعيل أكبر بحوالى ستة أمتار وكانت أعرض من الناحية الغربية بمسافة ستة أمتار أيضاً وكانت بلا سقف وكان لها بابين ملاصقين للأرض، أولهما الباب الحالى فى الجهة الشرقية والثانى يقابله فى الجهة الغربية.

وفى الروايات أول من جدد بناء الكعبة بعد بنائها قصى بن كلاب حيث جعل سقفاً من خشب الدوم وجريد النخيل.

وقبل بعثة الرسول ﷺ بخمس سنوات تقريباً نزل سيل عرم صدع جدران الكعبة وأوهن بناءها، فعزمت قريش على إعادة بنائها وأتمت قريش بناء الكعبة على مساحتها الموجودة عليها الآن.. حيث أن النفقة قد أحوجتهم إلى تخفيض مساحتها من جهة الشمال والغرب واكتفوا بالباب الشرقى وحده بيد أن رفعوه عن الأرض بحوالى مترين كما جعلوا لها سقفاً من الخشب ليحافظوا بداخلها على ما كان يهدى إلى الكعبة من نفائس وكنوز كما أعادوا وضع صنم هبل بداخلها.

أخبر عبدالله بن عمير عن عائشة رضى الله عنها أن الرسول ﷺ قال: «**ألم ترى أن قومك حين بنوا البيت اقتصدوا عن قواعد إبراهيم**» فقالت: يا رسول الله ألا

تردها على قواعد إبراهيم؟ قال« **لولا حدثان قومك بالكفر**» فقال عبدالله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ ما أرى أن رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر، إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم عليه السلام[رواه مسلم ، والترمذى، والنسائى، وأحمد].

ومن حديث نافع سمعت عبدالله بن أبى بكر يحدث عبدالله بن عمر عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال: «**لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية - أو قال بكفر - لأنفقت كنز الكعبة فى سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض ولأدخلت فيها الحجر**»[رواه مسلم] قال ابن إسحاق: كانت الكعبة على عهد النبىﷺ ثمانى عشر ذراعاً وأول من كساها بالديباج الحجاج بن يوسف.

وفى عهد يزيد بن معاوية حين غزى أهل الشام البيت وأحرقوه، خطب ابن الزبير فى الناس فى الحج وقال أيها الناس أشيروا على فى الكعبة؟ أنقضها ثم أبنى بناءها أو أصلح ما وهن منها؟ قال ابن عباس: إنى أرى أن تصلح ما وهن منها وتدع بيتا أسلم الناس عليها، وبعث عليها النبى ﷺ ، فقال ابن الزبير: لو كان احترق بيته ما رضى حتى يجدد فكيف ببيت ربكم عز وجل، فنقضوا البيت حتى الأرض. فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤها . . قال ابن الزبير: إنى سمعت عائشة رضى الله عنها تقول أن النبى ﷺ قال: « **لو أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى النفقة ما يقوينى على بنائه لكنت أدخلت فيه الحجر خمسة أذرع ولجعلت له باب يدخل الناس منه وباب يخرجون منه**» [رواه النسائى والبخارى ومسلم]. قال: فأنا أجد ما أنفق ولست أخاف الناس، قال فزاد عليه خمسة أذرع من الحجر حتى له أساً فنظر الناس إليه فبنى عليه البناء، وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعاً فزاد فى طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهم للدخول والآخر للخروج.

فلما قتل الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك يستجيزه بذلك ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة. فكتب إليه عبدالملك إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شىء أما ما زاده فى طوله فأقره، أما ما زاد فيه من الحجر فرده

إلى بنائه وسد الباب الذى فتحه فنقضه وأعاده إلى بنائه[رواه مسلم والنسائى واللفظ لمسلم].

حجر إسماعيل (الحطيم):

وهى المساحة التى لم تبنى من أصل مساحة الكعبة فى عهد سيدنا إبراهيم وهو فى الجهة الشمالية من الكعبة ويسمى الآن الركن العراقى وهذه المساحة ستة أذرع تقريباً يحاط بها جدار يرتفع عن الأرض بنحو نصف متر وهو من أصل الكعبة ويسمى أيضاً بالحطيم.

ويعد رجع الأمر إلى هذا الحال فقد كره بعض العلماء أن يغير من حاله كما ذكر أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أبيه المهدى. . سأل الإمام مالك عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله الزبير، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها!! فترك ذلك الرشيد . . [نقله عياض والنووى].

والكعبة المشرفة:

هو مبنى مكعب الشكل وذو أربع أضلاع سنذكرها فى اتجاه الطواف وهم (الركن الأسود - العراقى - الشامى - اليمانى) شكل رقم (١).

وأضلاعها الأربعة هى:

١ - الضلع الشرقى:

يبلغ طوله ١١,٨٨ متراً ويسمى الركن الأسود وزاويته جهة الجنوب أو ركنه «الحجر الأسود» وهو على ارتفاع أقل من القامة، لذلك لابد من الانحناء لتقبيله إجباراً كما ينحنى الناس لعظيم . وأرى أن هذا الارتفاع هو من الله حتى لا يكون هناك مشقة لقصيرى القامة والنساء والولدان، والله أعلم. . يلى الحجر مباشرة فى نفس الضلع.

أ - باب الكعبة : وهو الباب الوحيد للكعبة ويرتفع عن الأرض بمقدار مترين وهو محلى بالذهب.

ب - الملتزم : وهو المكان بين الباب والحجر الأسود.

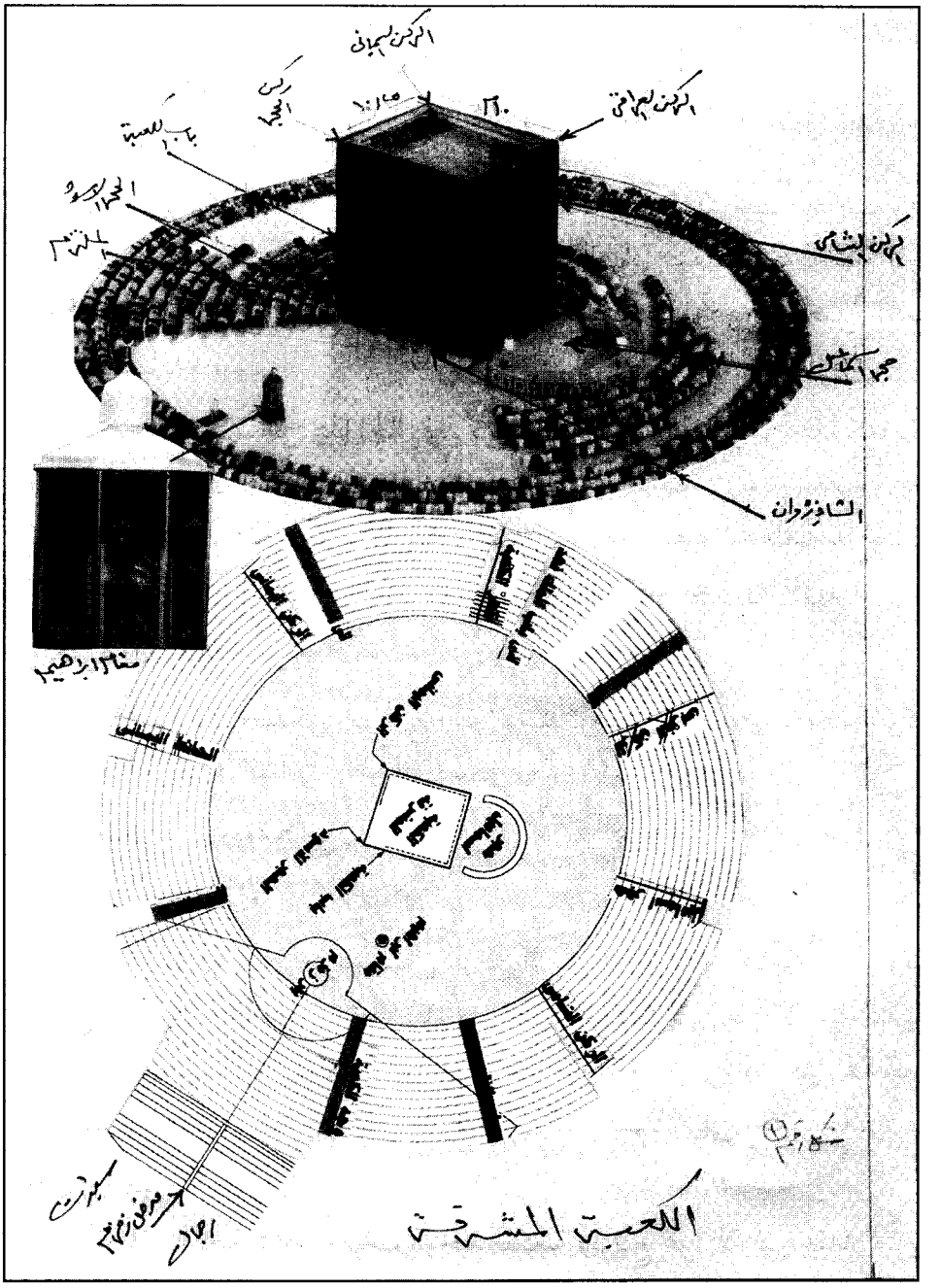

شكل (١)
الكعبة المشرفة

٢ - الضلع الشمالى :

ويبلغ طوله ١٠ أمتار ويسمى الركن العراقى وبه حجر إسماعيل وهو جزء من الكعبة ويسمى أيضاً الحطيم.

٣ - الضلع الغربى :

وطوله ١٥ , ١٢ متراً ويسمى الركن الشامى وهو موازى للضلع الشرقى.

٤ - الضلع الجنوبى :

وطوله ١٥ , ١٠ متراً ويسمى الركن اليمانى.

ويحيط بالكعبة من أسفلها بناء من الرخام يسمى «الشازروان» تثبت فيه حلقات أستار الكعبة وهو من الكعبة ولا يجوز الطواف فوقه.

والكعبة بناء على شكل غرفة بارتفاع خمسة عشر متراً ولها سقفين المسافة بينهما ١,٣٥ متراً.

وفى شعبان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م تم الانتهاء من أعمال الترميم الشامل والتى شملت ترميم وتجديد سقف الكعبة والأعمدة الثلاثة وحوائط الكعبة من الداخل والخارج والأرضيات وتركيب رخام السطح والحوائط والأرضيات والسلم الداخلى والشازروان وجدار حجر إسماعيل وميزاب الكعبة.

وهكذا تجدد إلى آخر الزمان إلى أن يخربها «ذو السويقتين» من الحبشة كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»** [رواه البخارى ومسلم وأحمد] ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: **«كأنى به أسود أفجع يقلعها حجراً حجراً»** [رواه البخارى وأحمد] ؛ وعن مجاهد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **« اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة »** [رواه أحمد وأبو داود]، ويكون ذلك بعد خروج يأجوج ومأجوج ، لما جاء فى صحيح

البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«ليحجنَّ البيت وليعتمرنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج»**[رواه البخارى وأحمد].

وقد اهتم محمد على باشا والى مصر عندما سمع بهدم معظم أركان الكعبة نتيجة هطول الأمطار الشديدة عليها فقدم على إعادة بناء الكعبة واستمر البناء لمدة ستة أشهر بواسطة العمال والمهندسين المصريين وقد أنفقت أموال طائلة على هذا البناء سنة ١٠٤٠ هـ ، وفى عهد آل سعود اكتشف خلل فى سقف الكعبة وتصدع جدرانها فقام الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود برئاسة أعمال الترميم فتم تجديد السقف وترميم جدرانها ثم كسوتها (رجب / شعبان عام ١٣٧٧هـ).

الكسوة:

كانت كسوة الكعبة المشرفة تحضر من اليمن حتى عهد قصى بن كلاب فجعل على كل قبيلة نصيباً فى كسوة الكعبة بقدر طاقتها، ولما أثرى أبو ربيعة بن المغيرة المخزومى من تجارته مالاً كثيراً فكان يكسو الكعبة وحده سنة وتكسوها قريش كلها سنة . . لذا سميته قريش العدل.

وظلت قريش مسئولة عن كسوة الكعبة إلى أن جاء الإسلام فتحملت الدولة ذلك ولما ضعفت الدولة العباسية ، تولت مصر عمل الكسوة للكعبة وإرسال كل ما يلزمها سنوياً، وأنشأت دار الكسوة الشريفة فى الخرنفش حتى سنة ١٣٤٦هـ حيث أنشأ الملك عبدالعزيز آل سعود داراً لصنع الكسوة فى أجياد بمكة المكرمة، هذا وتغسل الكعبة المشرفة مرة كل عام ولا يزال الأمر جارياً على ذلك حتى الآن فى اليوم السابع من ذى الحجة من كل عام.

المسجد الحرام:

وقد ظلت الكعبة المشرفة فى الخلاء بلا أسوار أو مبان تحيط بها منذ بناها سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى عهد قصى بن كلاب الذى ترك حولها مداراً كافياً للطواف . . ثم بدأ ببناء دار الندوة حول مدار الطواف ودعا قومه إلى بناء دورهم حوله، ففعلوا ذلك تاركين أمكنة بين مبانى الدور للمرور منها إلى مدار الطواف، ظل

الحال حتى جاء الإسلام وانقضى عهد رسول الله ﷺ وعهد خليفته أبو بكر رضى الله عنه فى سنة ١٧ هـ وفى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه اتسعت رقعة البلاد الإسلامية ودخل الناس فى دين الله أفواجاً فازدادت أعداد الحجاج، فرأى سيدنا عمر رضى الله عنه أن يوسع الحرم، فاشترى الدور من حول الكعبة وهدمها وأدخلها فى حرم الكعبة وأحاطها بجدار مرتفع قامة الرجل ووضع عليه مصابيح لتضىء للطائفين والعاكفين بالليل.

وعام ٢٦ هـ وفى عهد عثمان بن عفان اشترى رضى الله عنه دوراً أخرى وزاد فيها من رقعة المسجد ومد إليها السور كما فعل عمر رضى الله عنه من قبل.

وفى سنة ٦٤ هـ فى عهد عبدالله بن الزبير اشترى رضى الله عنه دوراً وسع بها المسجد توسعة كبيرة من الجانبين الشرقى والجنوبى ، ولم يزد على أن أحاط هذه الزيادة بجدار المسجد كما فعل من سبقه الخليفة عمر وعثمان بن عفان رضى الله عنهما.

وسنة ٧٥هـ أمر عبدالله بن مروان برفع الجدار وسقفت بخشب الساج الداكن اللون المتين وجعل فى رأس كل اسطوانة خمسين مثقالاً من الذهب وكان تقليداً من الشاميين.

وزاد الوليد بن عبدالملك فى عمل أبيه بتوسعة المسجد وزخرف الساج الذى سقف به وأزر أسفل جدرانه بالرخام وجعل له شرفاً، كما نقل إليه أساطين الرخام وجعل بدلا من الذهب صفائح من النحاس وزخرف أبواب المسجد بالفسيفساء.

سنة ١٤٠ هـ أمر أبو الجعفر المنصور العباسى زياد بن عبدالله الحارثى والى مكة فزاد المسجد فى مساحته لضعف ما كان عليه وزينه بالذهب والنقوش وبنى مئذنة بنى سهم، وفى نفس العام عندما حج أبو جعفر أمر بتغطية حجر إسماعيل بالرخام وتم ذلك فى نفس الليلة.

وحتى هذا الوقت لم تكن الكعبة تتوسط المسجد الحرام وبعد عهد المنصور مباشرة وفى ولاية المهدى أمر بتوسعة المسجد بحيث تتوسط الكعبة المسجد الحرام واكتملت التوسعة فى عهد ولده الهادى ولم يضف فى عهد العباسيين إلى المسجد

غير إضافتين جزئيتين تمتا فى عهد المعتضد العباسى ٢٨١هـ والمقتدر بالله العباسى ٣٧٦هـ.

وقد تنافس الحكام المسلمين فى تجديد وترميم وزخرفة المسجد الحرام وقد أسهمت مصر بالنصيب الأكبر فى عمارة المسجد الحرام.

وفى سنة ٩٨٠ - ٩٨٤ هـ ، ذهب والى مصر سنان باشا إلى مكة وأخذ معه المهندسين والعمال المصريين المهرة واستبدل السقف الخشبى المتآكل قباباً دائرة بالأروقة كما اهتم بتغيير بعض مجارى السيول ليحول دخولها المسجد، وهذه الزيادات والإصلاحات هو الذى نراه الآن من الدور الأرضى وهو القباب ذات اللون الضارب إلى الحمرة تمييزاً له عن التوسيعات الأخرى التى أجرتها المملكة العربية السعودية.

وفى سنة ١٣٧٥/ ١٩٥٥م أمر الملك سعود بن عبدالعزيز بإجراء توسعة شاملة للمسجد الحرام وعمارته حيث أقيم منذ سنة ١٣٧٥ إلى سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٥٥ حتى ١٩٦١م حتى صار كما بشكل رقم (٢).

١ - مجرى خاص لتصريف مياه السيول.

٢ - تم بناء أساس الرواق الجنوبى وكسيت جدرانه بالرخام كما تمت تكسية العقود والسقوف بالحجر المنقوش.

٣ - إقامة ممر دائرى على مستوى الطابق العلوى للرواق الجنوبى والمسعى ووصل بينهما بسقف مستدير مقبب وخصص هذا الممر للداخلين من باب الصفا الجديد إلى أحد الطابقين.

٤ - تم بناء القسم الثانى من الرواق الجنوبى الغربى وإكمال الطابق السفلى فى هذا الجانب.

٥ - بناء الرواق الشمالى فى الرقعة الممتدة من باب العمرة إلى باب السلام.

٦ - بناء الطابق السفلى الذى أقيم تحت جميع أبنية الحرم - عدا المسعى- .

٧ - إنشاء خمسة ميادين عامة حول الحرم وأصبح عدد أبواب الحرم أربعة وستون باباً.

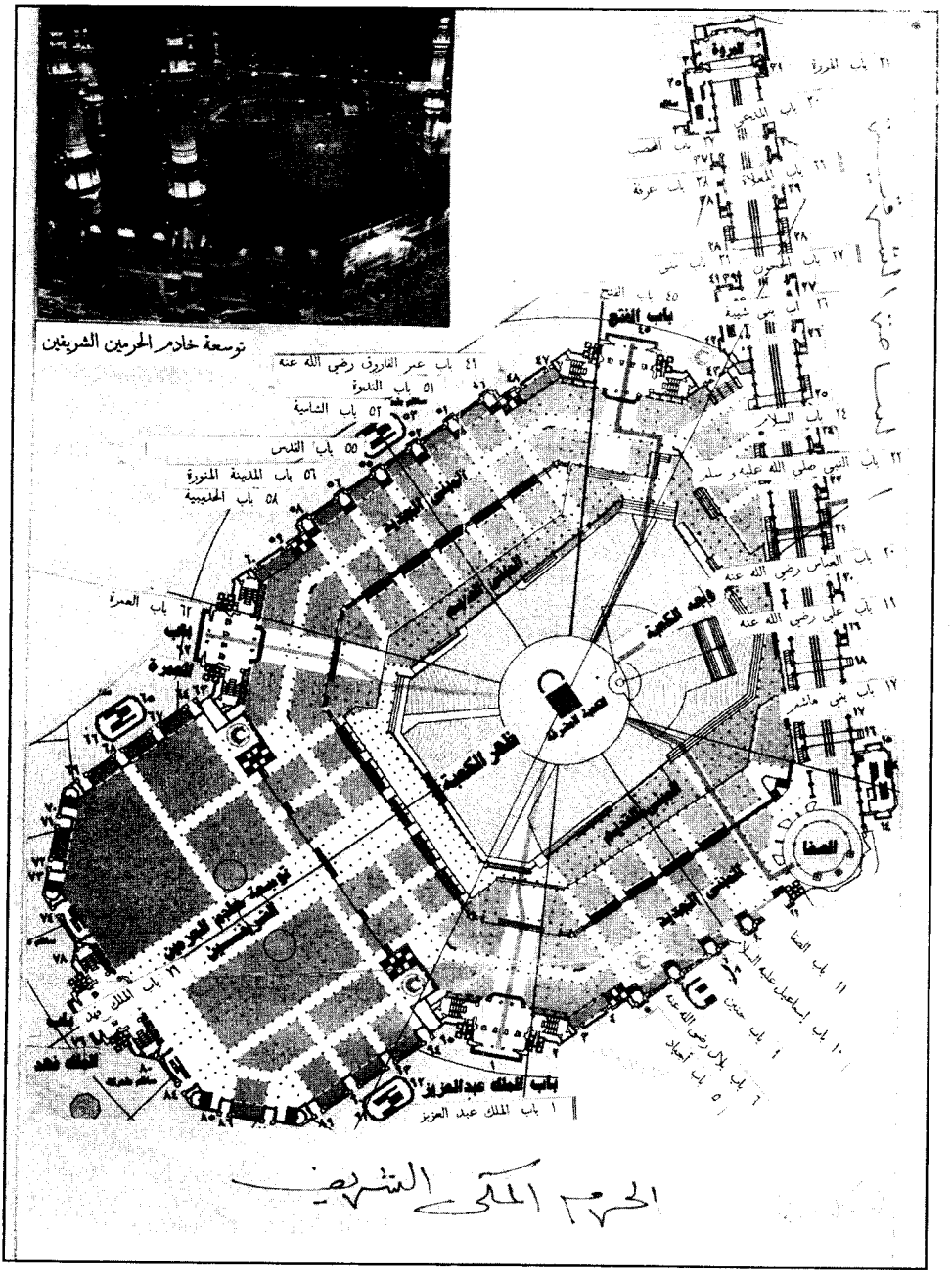

شكل (٢)

الحرم المكى الشريف

٨ - حفر أنفاق فى جميع الاتجاهات مزودة بدورات مياه ومغاسل للوضوء.

٩ - ترميم الكعبة المشرفة.

١٠- توسعة المطاف.

١١- تجديد مقام سيدنا إبراهيم.

بناء على هذه التوسعات فقد زادت مساحة الحرم من ٢٩١٤٧م٢ إلى ١٩٣٠٠٠م٢ مما زاد استيعاب الحرم ٤٠٠٠٠٠ مصلى.

وفى عهد الملك فهد بن عبدالعزيز تم توسعة المسجد الحرام إلى الآتى:

١ - تم إضافة جزء جديد إلى مبنى المسجد من الناحية الغربية فى منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك عبدالعزيز.

٢ - زادت مساحة أدوار الحرم المكى ٧٦٠٠٠م٢ موزعة على الدور الأول والبدروم والسطح حتى تتسع إلى ١٥٢٠٠٠ مصل.

٣ - تجهيز المساحات الخارجية بتبليطها بالرخام الأبيض بمساحة إجمالية تصل إلى ٢٨٥٨٠٠ تكفى لاستيعاب ١٩٠٠٠٠ مصل.

٤ - إضافة مدخل رئيسى جديد وثمانية عشر مدخلاً عادياً بالإضافة إلى المداخل السابقة البالغ عددها ثلاثة مداخل رئيسية وسبعة وعشرون مدخلاً عادياً كما أضيف مدخلين جديدين للقبو إضافة إلى المداخل الأربعة السابقة.

٥ - إضافة مئذنتين جديدتين بارتفاع تسعة وثمانون متراً تتشابه مع المآذن السبع الأخرى القائمة.

٦ - إضافة مبنيين للسلالم المتحركة أحدهما فى شمال مبنى التوسعة والآخر فى الجنوب مساحة كل منهما ٣٧٥م٢ بطاقة استيعاب ١٥٠٠٠ مصل/ساعة مع زيادة عدد السلالم المتحركة ٥٦ سلماً بالإضافة إلى مصعدين كهربائيين رئيسيين ومصعدى خدمة المآذن ووصل عدد مبانى السلالم المتحركة إلى سبعة تنتشر حول محيط الحرم لخدمة رواد الدور الأول والسطح.

٧ - بلغت عدد الأعمدة ١٤٥٣ عموداً مكسوة جميعها بالرخام منها ١١٢٠ عامودا ذا تاج وقاعدة من الرخام بها فتحات تكييف، ٣٣٣ عاموداً عادياً وتبلغ ارتفاع أعمدة الطابق الأرضى ٤,٥ متراً والطابق الأول ٤,٧ متر أما قواعد الأعمدة فهى مسدسة الشكل ، كما تبلغ ارتفاعات الواجهات الخارجية للتوسعة ٢٢,٥ مترا وجميعها محلاة بالزخارف الإسلامية ومكسوة بتداخلات من الرخام والحجر الصناعى.

٨ - يشمل الحرم الآن ثلاثة طوابق القبو وارتفاعه ٤ أمتار والطابق الأرضى ٩ أمتار والدور الأول ٩ أمتار وقد تم تبليط سطح المسجد جميعه بالرخام لاستخدام المصلين.

٩ - إقامة ثلاث قباب للتوسعة تقع جميعها بالنصف تقريباً بموازاة المدخل الرئيسى مكسوة بالسيراميك وبارتفاع ١٣ متراً وتحتوى على فتحات بكامل محيطها وبشكل خارجى يماثل القباب الموجودة على سطح الحرم من قبل.

١٠- تقوية الإذاعة الداخلية القديمة مع وضع نظام صوتى للمسجد.

١١- إضافة نظام إنذار من الحريق.

١٢- نظام الهاتف.

١٣- نظام تهوية القبو ميكانيكياً بينما يتم تهوية الدور الأول والثانى بمراوح تقليب الهواء على الأعمدة مع دفع هواء بارد خلال أرضية مرتفعة وتوزيعه على مستوى مرتفع حول الأعمدة المربعة.

١٤- أقيمت محيطات التبريد ومضخات المياه المثلجة ومركز تشغيل وتحكم أوتوماتيكى بطاقة ١٣٥٠٠ طن تبريد فى منطقة أجياد بعيدة عن الحرم لتحاشى الضوضاء.

١٥- إنشاء مبنى دورات المياه شمال مساحات المسعى من دورين بمساحة إجمالية ١٤٠٠٠م٢ بالإضافة إلى السطح ، ويحتوى هذا المبنى على ١٤٤٠ دورة مياه،

١٠٩١ نقطة وضوء ، ١٦٢ نافورة للشرب مع إنشاء ممرات لتسهيل انتقال المصلين من القشاشية إلى مساحات الصلاة الجديدة دون تعارض مع حركة المرور مع إنشاء دورات خاصة بالنساء بمداخل منفصلة .

وصلت مساحة المسجد الحرام الكلية فى هذه التوسعة بالأسطح وكامل الساحات ٣٥٦٠٠٠م٢ تتسع لحوالى ٧٧٣٠٠٠ مصل فى الأيام العادية لتزيد فى المواسم لتستوعب أكثر من مليون مصل .

تتلخص التوسعة الجديدة فى عهد الملك فهد بن عبدالعزيز :

البيـــان	الوضع قبل التوسعة	التوسعة	الإجمالى
مساحة المسجد الحرام	١٩٣ ألف م٢	١٦٣ ألف م٢	٣٥٦ ألف م٢
عدد المصلين	٤١٠ ألف م٢	٧٧٣ ألف م٢	أكثر من مليون
المآذن	٧	٢	٩ مآذن
المداخل الرئيسية	٣	١	٤ مداخل
المداخل العادية	٢٧	١٨	٤٥ مدخلاً
مداخل البدروم	٤	٢	٦ مداخل
السلالم المتحركة	٧	٤	١١ سلماً
أبواب المسجد الحرام	٢٧	١٤	٤١ باباً
دورات المياه وأماكن الوضوء	٥٠٠٠	٤٠٠٠	٩٠٠٠ حمام ومیضأ

ويشمل الحرم بخلاف الكعبة المشرفة على المعالم الأساسية الآتية :

مقام إبراهيم – زمزم – المسعى (الصفا والمروة).

أولاً : مقام إبراهيم :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[البقرة : ١٢٥].

وهو الحجر الذى وقف سيدنا إبراهيم عليه السلام وقد طبعت رجله الشريفة عليه بلا خف وكان يصعد وينزل عند بناء الكعبة عندما كان يناوله سيدنا إسماعيل أحجار الكعبة للبناء.

وكان إلى عهد عمر رضى الله عنه ملاصقاً للكعبة ولما ازدادت أعداد المسلمين ودخل الناس فى دين الله أفواجاً فقد أمر سيدنا عمر رضى الله عنه بتحريكه إلى المكان الذى هو فيه الآن ، ويقال عن مقام إبراهيم ليس هذا المكان فقط ولكن يشمل مقام إبراهيم أيضاً منطقة الطواف وما حولها بمبنى المسجد الحرام.

ووضع الحجر داخل مقصورة من الزجاج كما هو موجود الآن بجوار الكعبة المشرفة فى التوسعة الأولى للملك سعود بن عبدالعزيز، شكل رقم(١).

ثانياً : المسعى :

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾[البقرة : ١٥٨].

وهو المكان التى جرت به سيدتنا هاجر بعد نفاذ التمر والماء وبكاء طفلها والمسعى هو المسافة بين أصل جبل أبى قبيس جنوب المسجد قرب الصفا والطرف الآخر مكان مرتفع من أصل جبل قعيقعان فى الشمال الشرقى للمسجد وكانت المبانى تفصل بين المسجد الحرام والمسعى قديماً وظل المسعى على مر العصور طريقاً ضيقاً على جانبيه الطريق يعلوه المساكن.

وفى عهد الملك سعود بن عبدالعزيز ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ (شكل رقم ٢) فقد تم الآتى:

١ - إزالة جميع المنشآت السكنية والتجارية التى كانت قائمة قرب المسعى وهدم المبانى القائمة شرق المروة.

٢ - شق طريق جديد يمر بجانب الصفا والمروة إلى حى الغرارة وحى الشامية.

٣ - تم تبليط المسعى بالكامل بالرخام.

٤ - أقيم وسط المسعى حاجز يقسمه إلى قسمين طويلين خصص أحدهما للسعى للصفا والآخر للمروة.

٥ - وضع ممر بين الطريقين لتسير العربات الحاملة للساعين غير القادرين.

٦ - دهن جزء المسعى أمام بطن وادى إبراهيم والمقابل لزمزم والكعبة المشرفة باللون الأخضر كما وضعت لمبات خضراء عند بدء ونهاية هذا الجزء ويسمى بالميلين ليتعرف عليها الساعون فيهرولون فى سيرهم بين العلامتين.

٧ - بناء المسعى من طابقين لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الساعين ويبلغ طول المسعى من الداخل ٣٩٤,٥ وعرضه ١٦ متر ويبلغ ارتفاع الطابق الأرضى للمسعى ١٢ مترا والطابق العلوى ٩ أمتار.

٨ - أنشأ للمسعى ١٦ باباً فى الواجهة الشرقية ، كما خصص للطابق العلوى سلَّمان من داخل المسجد أحدهما للصفا والآخر للمروة.

٩ - زادت مساحة المسعى بالمسجد ٨٠٠٠ متر للطابق العلوى ومثلهم ٨٠٠٠ متر للطابق الأرضى.

كما جرت توسيعات أخرى فى عهد الملك فهد بن عبدالعزيز وهى كالآتى:

١ - زيادة مساحة ١٣٠ مترا لكل دورة من جهة المروة لتصبح الزيادة ٣٧٥ متراً مربعاً.

٢ - زاد عرض منطقة المروة ٢٦ متراً بدلاً من ١٦ متراً فى السابق.

٣ - إنشاء قبة على المروة بشكل ينسجم مع الشكل المعمارى لقبة الصفا.

٤ - إنشاء ستة أبواب جديدة بالدور الأرضى لتسهيل حركة الخروج للمصلين والمعتمرين ، إضافة إلى الباب المؤدى إلى الساحة الشرقية، كما أنشأ مدخلان للدور العلوى أحدهما للصفا والآخر للمروة.

ثالثاً : زمزم :

هو نبع ماء يقع داخل المسجد الحرام من الجانب الشرقى بجانب باب بنى شيبة يوجد أسفل منطقة الطواف، وهو قديم قدم بناء الكعبة من عهد سيدنا إسماعيل عليه السلام حيث ضرب سيدنا جبريل عليه السلام بعقبة بجوار سيدنا إسماعيل وهو رضيع فتفجر النبع تحت قدمه الشريفة حيث نشأ مجتمع حول الماء من أولاد سيدنا إسماعيل الاثنى عشر من زوجته من جرهم، فلما طال عليهم العهد، ظلموا ونسوا تعاليم جدهم سيدنا إسماعيل حيث كان رسولاً نبياً حتى أدرك آخر زعمائهم أن دولتهم إلى زوال حيث بدأت زمزم فى الجفاف فعمد إلى كل ما هو ثمين وغال من تماثيل ذهبية وحلى وسيوف موجودة بالكعبة فوضعها فى البئر وردم عليها على أمل عودته يوما ما فيجدها.. واحتلت خزاعة مكة ثم ضعفت ودامت السيادة إلى قريش، ولم يعرف مكانها إلى زمن قبل مولد الرسول ﷺ.

حيث رأى عبدالمطلب - جد رسول الله ﷺ - فى المنام مكان زمزم وجاءه الهاتف مراراً افتح زمزم ، افتح برة . . وكانت العلامة هو أن غراب أسود سيبحث فى روث هدى ملقى بجوار البيت ، وبدأ عبدالمطلب وابنه الوحيد الحارث فى الحفر فى هذا المكان وسط دهشة أهل مكة واستهزائهم من هذا العمل وإنه وحيد ولا ولد له إلا الحارث فأقسم إن أعطاه الله عشرة من الأولاد ليذبح أحدهم هدياً إلى الله سبحانه وتعالى . . ثم استمر فى الحفر حتى ظهر الكنز المدفون وهو غزالين وسيوف من الذهب ، وخلافه ، ثم علقها على الكعبة حيث سرقت ، ولم تظهر مياه زمزم إلا فى عام الفيل وهو عام ميلاد سيد الخلق أجمعين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم واستمر تدفقها هذا وإلى يوم الدين إن شاء الله رب العالمين.

وتقع زمزم فى أقل بقعة انخفاضاً فى وادى إبراهيم وهو الوادى الممتد من العقبة الكبرى فى منى ومارا بالكعبة ثم إلى المسفلة ويعلو هذا الوادى قواعد البيت الحرام.

ونجد زمزم فى أسفل أرضية الطواف حول الكعبة المشرفة وليس على مستواها، وهى تبعد عن الحجر الأسود بمسافة ٢٠ متراً فى اتجاه الصفا ، وتبعد عن أسفل أرضية الطواف بحوالى ١,٥ متر حيث نجد فتحة زمزم (شكل رقم ٣).

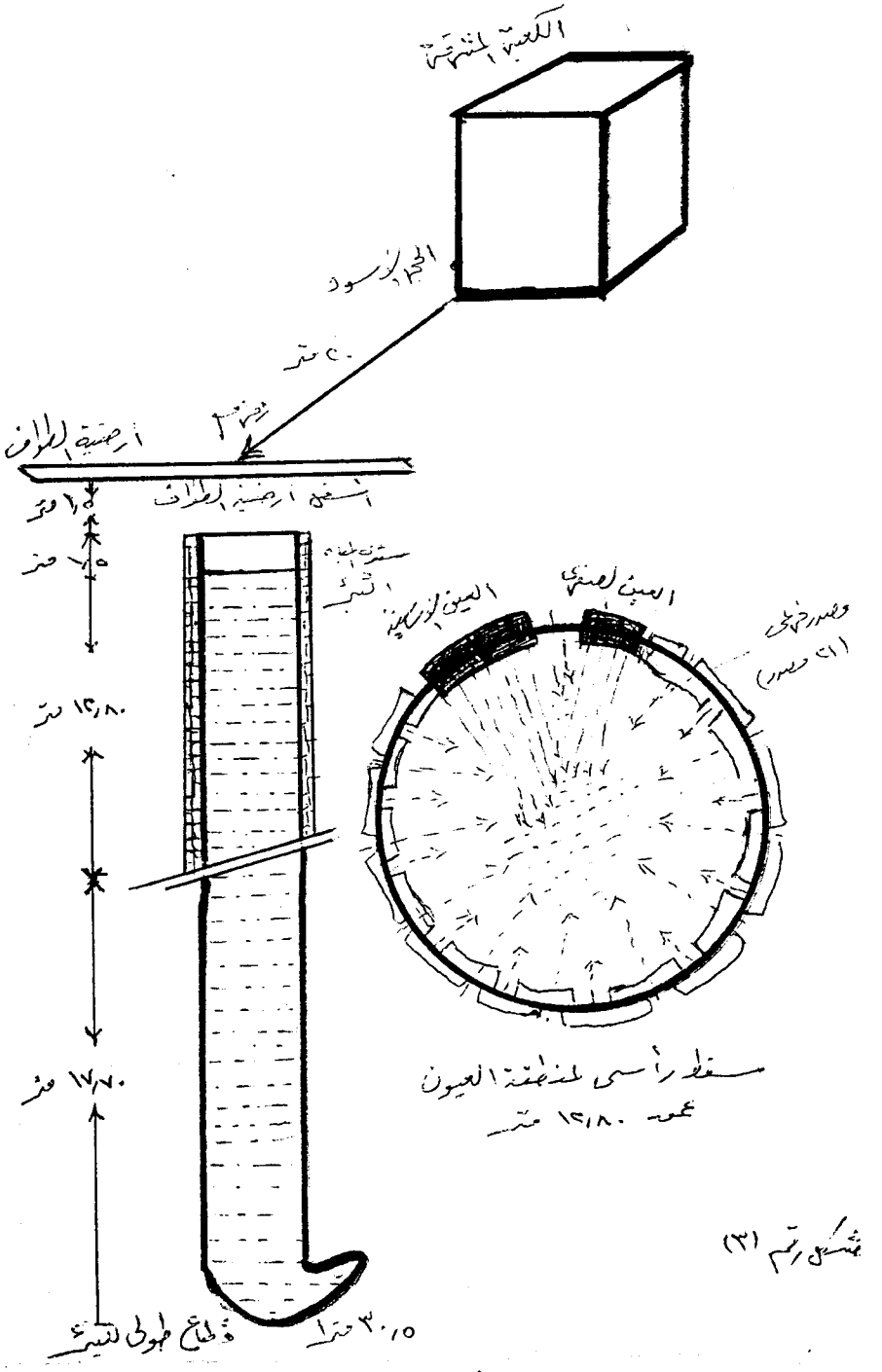

شكل رقم (٣)

شكل (٣)

الحرم المكي الشريف

١ - **طول البئر** : حوالى ٣٠ متراً من سطح البئر حتى قاعه ، ويعطى قاعه شكل قدم وليس به أى عيون جوفية وأسطحه صماء ليس بها أى عيون أو فتحات إلا فى منطقة واحدة فقط على بعد ١٢,٨٠ م من سطح البئر.

٢ - **العيون الأساسية** : توجد لبئر زمزم ثلاثة عيون أساسية كما ذكرها الإمام الأزرقى فى سنة ٢٦٣هـ فى وصف بئر زمزم حيث صلى فى قاعها فى عهد المأمون ويقال أيضاً عندما سرق القرامطة الحجر الأسود ، وهذه العيون أو الفتحات هى:

أ - العين الأساسية : وهى الفتحة الكبرى وهى فى اتجاه الكعبة وأمام الحجر الأسود بطول قدره ٧٥ سم وعرضها ٢٥ سم وهى أكثر العيون تدفقاً بالماء.

وقد سأل كعب الأحبار العباس رضى الله عنه عن أى العيون أغزر قال جهة الكعبة فقال له صدقت.. وهذا ما رأيته بنفسى.

ب- العين الثانية : وهى فتحة أصغر من الأولى وهى فى اتجاه المروة ناحية مقام سيدنا إبراهيم بطول قدرة ٤٥ سم وبعرض ٢٥ سم وهى أقل تدفقاً للماء.

جـ- العين الثالثة : وهى ناحية جبل قبيس فى اتجاه الصفا كما ذكرت فى تاريخ الإمام الأزرقى سنة ٢٦٣هـ أما الذى شاهدته فكانت هذه الجهة مغلقة بالحجارة ولكن وجدت ٢١ فتحة صغيرة تخرج الماء من بين الحجارة.

وتصب هذه المياه فى جسم البئر وهو ما يعطى شكل الجيب حيث تملأ بماء زمزم.

هذا ولا يوجد أى فتحات أخرى فى جسم البئر وسجل ذلك بواسطة غواصين بحريين بتصوير جميع أجزاء البئر بكاميرات مائية.

٣ - **قطر البئر** : يختلف أقطار البئر من فتحته إلى أسفل بأقطار تتراوح بين ١,٥ متر إلى ٢ متر.

٤ - **جدران البئر** : تختلف جدران البئر من قمته إلى أسفله فمن قمته عند فتحة البئر وحتى ١٢,٨٠م وهى ظهور الفتحات الأساسية أو العيون الأساسية كان الجدار

مغطى بالجص ولكن لا يعرف فى أى عهد حدث هذا مع غلق العين جهة الصفا؟ أما ما بعد ذلك فهو قطعة واحدة من الصخر بدون شروخ أو عيون أو فتحات أو طلاء أو خلافه صخر صلد فقط.

٥ - **مستوى الماء فى البئر :** مستوى الماء فى البئر ثابت بعد فتحة البئر بحوالى ١,٥ متر ولا يزيد الماء عن ذلك أبداً كأن بها عوامة تتحكم فى كمية الماء التى تصل إلى هذا البئر ولكن هذه الصفة من قدرة الله العلى العظيم القدير، ثم تنخفض عندما يسحب منها الماء حسب قوة الطلمبات الرافعة للمياه وأثناء عملية الضخ تسترد المياه قوتها وترتفع مرة أخرى مؤكدة حديث رسول الله ﷺ **«كلما أخذت منها أعطتك»**.

وتصل إلى بئر زمزم الآن بواسطة سلالم رخامية فى حارتين واحدة للرجال والأخرى للنساء تصل إلى أسفل وادى إبراهيم حيث ترى بئر زمزم محاطة بجدر زجاجية وأمامها فى كل قسم العديد من صنابير المياه التى تغذى من زمزم بواسطة طلمبات غاطسة داخل البئر تضخ المياه أعلى سطح الحرم حيث ترشح المياه مما يكون عالقاً بها من الرمال ثم تعقم بالأشعة فوق البنفسجية حتى لا يتغير طعمها ثم تضخ مرة أخرى فى مواسير حيث تبرد حيث يصل إلى صنابير للاستعمال المباشر.

وفى دراساتى ومشاهداتى أثناء العمل فى بئر زمزم ومعرفة تركيبه ومصادر المياه وتركيب المياه ميكروبيولوچيا - كيميائياً - هيدرولوچيا - مع أخذ العينات من المياه على فترات زمنية كبيرة وعلى أعماقها المختلفة وكذلك تحليل المياه من عيونها الأساسية وقبيل أن تصل إلى البئر فقد وجدت الآتى:

١ - إن بئر زمزم فى أكثر بقعة بوادى إبراهيم انخفاضاً أسفل أرضية الطواف الجهة الشرقية من الكعبة المشرفة ناحية الحجر الأسود وهى جيب بشكل رجل فى نهايتها قدم وهو ما يثبت أنه عقب سيدنا جبريل تصب منه المياه من عيون أساسية. أما ما يحيط بئر زمزم من آبار أخرى تصل أعدادها إلى أربعة جميعها مختلفة التركيب والمياه وتستخدم مياهها فى دورات المياه وخلافه.

٢ - ان مستوى الماء فى البئر ثابت عند مستوى ٥ , ١ متر من سطح البئر ينقص عندما يسحب منها الماء ولكن تزيد الماء مرة أخرى أثناء عمليات الضخ **«كلما أخذت منها أعطتك»** صدق رسول الله ﷺ.

وعندما يتلوث المصدر الأساسى وهو البئر نفسه تفور المياه حتى يتخلص من هذه الملوثات ثم ترجع إلى مستواها مرة أخرى بقدرة الله.

٣ - تتدفق الماء بغزارة من العيون خاصة من العين الأساسية وهى ناحية الكعبة أمام الحجر الأسود مباشرة وكما ذكرها العباس رضى الله عنه وكذلك كعب الأحبار.

٤ - أن العيون الأساسية التى رأيتها متوافقة مع ما وصفه الإمام الأزرقى ٢٦٣هـ حيث صلى فى قاعها فى عهد المأمون.

٥ - لا يوجد فى الوجود بئر يستمر عطاؤها أكثر من ١٤٠٠ سنة ومازالت إلا أنها آية من آيات الله الكونية.

ومن التجارب والنتائج العلمية نلاحظ آيات الله واضحة فيها وقد وضعت الافتراضات التالية بعضها يحتاج إلى تكملة البحوث العلمية لإثبات هذه النظرية، وهى:

(أ) المحتوى الميكروبى للمياه:

١ - وجد أن عينات المياه المأخوذة من العيون الأساسية من زمزم خالية تماماً من أى كائنات حية دقيقة (بكتريا وخلافه) متماثلة تماماً مع عينات تربة أخذتها من أرضية الطواف بجوار الكعبة المشرفة عند تغيير أرضية الطواف بالحرم ، وكانت أيضاً خالية تماماً من هذه الكائنات وذلك عام ١٤٠٠هـ ، مع العلم بأن أى تربة أو مياه فى الظروف العادية أو الطبيعية تحتوى على ميكروبات أو كائنات حية دقيقة حتى عمق خمسة كيلو مترات من باطن التربة . . فسبحان الله العلى القدير.

٢ - ومن عينات مياه أخذتها من البئر قبل تنظيفه من أحداث الحرم ١٤٠٠هـ فقد وجد أن ١سم٣ يحتوى على ٦٠ مليون ميكروب ممرض وقد شربنا من هذه المياه لمدة ٢٤ ساعة متواصلة وبدون طعام، ويجب أن ننوه هنا أنه لا يوجد تعارض أبداً بين العلم والدين فكان المفروض أن نصاب بالقيء والإسهال عندما شربنا هذه الكميات الكبيرة من المياه الملوثة ولكن لم يحدث. . ومن مشاهدتى فى مواسم الحج السابقة حيث منَّ الله على بالحج لمدة اثنى عشرة عاماً متواصلة فقد شاهدت ثلاثة مواسم حج ظهر بها مرض الكوليرا ، وبالنظر فيما حدث فالعلم والتجربة تقول تحت الظروف الصحية والبيئية للحجيج أن يكون نتيجة هذا المرض موت من ٣٠٠ ألف إلى ٥٠٠ ألف حاج من ٢ مليون حاج فى الموسم على الأقل ولكن لوحظ أن الذين يموتون من هذا المرض هم الحاملين لهذا الميكروب فقط والذين حملوه من بلادهم ولم ينتقل إلى الحجاج الآخرين ونقول لا تنتقل إلى الحجاج الآخرين حيث أن الوسيلة لنقل هذه الميكروبات عند استعمال صنابير مياه زمزم.

٣ - كما يلاحظ أيضاً أن دورات المياه الملاصقة للحرم الشريف وهى داخل الحرم ناحية المروة والقشاشية ناحية الصفا والأخرى ناحية المسفلة يستعملها مئات الآلاف من الحجاج يقضون حاجتهم وبدون غسل أيديهم بالصابون أو خلافه.

ويجب أن نذكر هنا حديث رسول الله ﷺ أن على الإنسان بعدما يقضى حاجته غسل يديه ثلاث مرات بالتراب.

وبالنظر إلى هذا الحديث الشريف يتبين لنا الآتى:

أ - إن فرك اليد بالتراب يزيل ميكانيكياً ما يعلق باليد من الخبث.

ب- إن التراب عند ملامسته بالماء يصبح طيناً وله خاصة التصبن وبالتالى يقلل من الجذب السطحى فيعمل على إزالة الميكروبات والقاذورات من اليد.

جـ- إن التراب يحتوى على معظم المضادات الحيوية التى تنتجها الكائنات الحية الدقيقة مثل البنسلين وبالتالى تعمل على تضعيف وقتل الميكروبات الملوثة للأيدى.

ولذلك فإن عدم غسل الحجاج لأيديهم والتوجه إلى زمزم واستعمال الصنابير مباشرة يجعل من هذه الصنابير أكثر الأماكن تلوثاً بالميكروبات.

وكما سبق أن ذكرت ليس لمياه زمزم أى تلوث لأنها خالية من هذه الكائنات الحية الدقيقة كما أن مياه زمزم تعقم حيث ترفع المياه من زمزم إلى أعلى الحرم وتمر على مرشحات فتنقيها من الرمال ثم تعقم بواسطة الأشعة فوق البنفسجية حتى لا يتغير طعمها ثم تضخ مرة أخرى فى الصنابير التى يستخدمها الحجاج، فيكون التلوث هنا من الحجاج وعدم اتباع سنة رسول الله ﷺ وكما ذكر الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم:٤١].

وتحت هذه الظروف فكان من المفروض أن يحدث حالات عديدة من الإسهال وخلافه نتيجة هذه الملوثات ولكن لم يحدث خلال فترة الحج منذ زمن بعيد.

ولذلك وضعت فرضية علمية بناء على ما حدث معى شخصياً وعلى مشاهداتى وبناء على ما هو حادث فعلاً إنه: عندما يلامس ميكروب ممرض مياه زمزم يفقد ضراوته بإذن الله ، ليس هذا فحسب فإذا فقد الميكروب الممرض ضراوته أصبح ميكروبا مفيداً حيث ينتج فى الجسم مواد مضادة للميكروبات المرضية (فاكسين) فسبحان الله على قدرته فهو الخالق بيده الأمر كله وأنه على كل شىء قدير.

ب: المحتوى الكيميائى لمياه زمزم:

حللت مياه زمزم كيميائياً على مدى الأيام والأشهر والسنوات لمعرفة محتواها من الأيونات والكاتيونات المختلفة المذكورة فى الجدول الدورى للعناصر.

وبعد دراسة هذه النتائج فإنى أرى أنه لا توجد أى دلالات علمية على المحتوى الكيميائى لمياه زمزم وأثره على شفاء الأمراض.. فلم نلاحظ أن المحتوى الكيميائى له أثر على أعداد البكتريا أو نموها.

وإذا أردنا أن نعرف المحتوى الكيميائى لمياه زمزم لمعرفة تأثيرها فى شفاء الأمراض وخلافه، فقد لوحظ من النتائج والشواهد ما يلى:

أ - لم يحدث ظهور أى أعراض مرضية نتيجة استمرار شرب مياه زمزم وعلى الرغم من محتواها العالى من أيون النترات.

ب- لا يوجد أى علاقة بين التحليل الكيميائى وشفاء الأمراض لأن الأثر هنا هو الإيمان وليس التركيب الكيميائى فعلى سبيل المثال:

لو أن هناك أربعة حجاج مصابين بحصوة الكلى كبيرة ويلزمها إجراء جراحة للتخلص منها وقد شربوا من ماء زمزم للتخلص منها فيكون نتيجة شرب زمزم لمحتواها الكيميائى شفاء الجميع ونزول الحصوة، ولكن لوحظ الآتى:

(١) الأول يشرب زمزم بنية الشفاء وتفتيت هذه الحصوة وبدون إجراء عملية وأنه على يقين بقدرة الله فى الشفاء وأن مياه زمزم وسيلة لذلك واعتقدوا فى سنة رسول الله ﷺ حيث قال«**زمزم طعام طعم وشفاء سقم**» فيشفى بإذن الله وتتفتت الحصوة ولا يحتاج لهذه العملية.

(٢) الثانى شرب زمزم وسأل الله الشفاء بلا اهتمام أو يقين كأنه قالها بلسانه فقط فلا يحدث شىء ولا تتفتت.

(٣) الثالث شرب زمزم ولم يطلب الشفاء فهو كالثانى فلا تتفتت الحصوة.

(٤) الرابع وهو منافق شرب مقلداً وحباً للفضول فقط لمعرفة طعمها مثلا نجد أيضاً أن الحصوة لم تتفتت.

لذلك نقول عند شرب زمزم أن يشرب الحاج أو المعتمر بنية صادقة وبنية أن الله هو الشافى المعافى وأن ماء زمزم ما هى إلا وسيلة وكما قال رسول الله ﷺ فهى طعام طعم للجائع وشفاء سقم للمريض. . على أن يكون طاهراً تقياً فإن الله سبحانه وتعالى يستجيب لدعائه عندما يدعو الله «اللهم اشفنى من كل داء وسقم ما ظهر منه وما بطن».

(جـ) التركيب الهيدرولوجى:

من المشاهدة أيضاً وتدبرى فى أمر زمزم فإنى وجدت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يجعلها جيب بشكل قدم تصب فيها الماء من مصادر بعيدة كل البعد عن التلوث ونشاطات الإنسان بمصادر الله أعلم بها فى آية من آياته الكونية.

فلو كانت بئر زمزم كالآبار العادية الأرتوازية حيث تخرج الماء من باطن الأرض نتيجة الحفر على أبعاد تتراوح من ١٠ أمتار للمياه الراشحة أو ١٥٠٠ متر للمياه الجيولوچية وبذلك كانت ستعرف نوعية الصخور الحاملة لها ويمكن دراسة كميتها ومصدرها وعمرها وهل هى مياه متجددة أم لا . . وهكذا.

ولكن فى زمزم فلم نعرف عن مصادرها شيئاً ولا كميتها حيث أنها تعطى وفق السحب منها ولها مستوى محدد تقف عنده ولا تزيد إلا فى حالات التلوث . . أليست آية . . سبحان الله.

كما لوحظ أيضاً أنها لو كانت بئراً عادية وحدث تلوث كيميائى أو عضوى ادمصت هذه الملوثات على سطوح حبيبات التربة فى البئر وفى هذه الحالة لا يمكن التخلص منها ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى العيون الأساسية بعيدة عن مصادر التلوث وعند حدوثها تفور وتتخلص منها مباشرة . . كما أن المياه فى البئر تعطى حسب احتياجات الحجيج فإن زادت الأعداد زاد تدفق الماء بقدرة الله العلى القدير، وحيث قال رسول الله ﷺ: **«كلما أخذت منها أعطتك»** هذا ويجوز نقل مياه زمزم خارج الحرم حيث أنّ مصدره متجدد بينما لا يجوز خروج أى شىء حتى الحصى من الحرم لأنه غير متجدد.

وقد قدرت كمية المياه المتدفقة من البئر يومياً بمقدار ١١,٥ مليون لتر/ يوم.